# انتقام القرصان

محمود سالم

# انتقام القرصان

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

# انتقام القرصان

محمود سالم

**الناشر مؤسسة هنداوي**
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
**تليفون:** ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
**البريد الإلكتروني:** hindawi@hindawi.org
**الموقع الإلكتروني:** https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

---

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٤ ٢٥٧٨ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

# المحتويات


| | |
|---|---|
| من هم الشياطين الـ «١٣»؟ | ٧ |
| أبطال هذه القصة | ٩ |
| قرد صغير ... أو ولد صغير ... | ١١ |
| لم يكن «مورجان» ساذجًا! | ١٥ |
| المعركة بين الماء والهواء! | ١٩ |
| المرسى الأخير! | ٢٥ |
| انتقام القرصان! | ٣١ |
| الموت في كل مكان! | ٣٧ |
| عندما يأتي الموت من بعيد! | ٤١ |

# من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

# أبطال هذه القصة

**رقم «١»:** «أحمد» من مصر.

**رقم «٢»:** «عثمان» من السودان.

**رقم «٣»:** «إلهام» من لُبنان.

**رقم «٤»:** «هدى» من المغرب.

**رقم «٥»:** «بو عمير» من الجزائر.

**رقم «٦»:** «مصباح» من ليبيا.

**رقم «٧»:** «زبيدة» من تونس.

**رقم «٨»:** «فهد» من سوريا.

**رقم «٩»:** «خالد» من الكويت.

**رقم «١٠»:** «ريما» من الأردن.

**رقم «١١»:** «قيس» من السعودية.

**رقم «١٢»:** «باسم» من فِلَسطين.

**رقم «١٣»:** «رشيد» من العراق.

**رقم «صفر»:** الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقتَه أحد!

# قرد صغير ... أو ولد صغير ...

كانت مغامرة القرصان من أسرع المغامرات التي قام بها الشياطين الـ «١٣»، صحيح أن الاستعداد لها استغرق وقتًا طويلًا، ولكنها انتهت في يومين ... فقد استطاع الشياطين الخمسة الذين ذهبوا إلى ميناء «برجن» النرويجي تحديد مكان جزيرة القرصان ... وقام «أحمد» و«عثمان» بالتسلل إلى الجزيرة في قارب صغير، ووقعا في قبضة الكابتن «مورجان» زعيم عصابة القرصان ... وقبل أن يتحدد مصيرهما، وصلت بارجة إلى مشارف الجزيرة، وأخذت تدكُّها بقنابلها، وأسرع الكابتن «مورجان» بالهرب على سفينته السريعة المدمرة «الجوست» أو «الشبح»، واختفى في ضباب بحر الشمال وفي سحابة من الدخان، قبل أن تتمكن البارجة من مطاردته ...

كانت هذه الخواطر تمرُّ بذهن «أحمد» وهو يقف في ميناء الجزيرة الصغيرة — القريبة من جزر «شتلاند» — وبجواره «عثمان»، بعد أن تأكَّدا أن السفينة «جوست» قد اختفت وفي قلبها ثلاثة من الشياطين، هم «بو عمير»، و«فهد»، و«قيس» ...

ولم يكن أمام «أحمد» و«عثمان» إلا الاتصال برقم «صفر»، وإبلاغه بما حدث، ودخل «أحمد» إلى غرفة اللاسلكي في الميناء، وأخذ يُرسل على الفور رسالتَه إلى المقر السري ...

**إلى «ك. ش» من رقم «١» ورقم «٢» ...**

استطعنا الوصول إلى جزيرة القرصان في شمال المحيط الأطلنطي قرب جزر «شتلاند». هرب القرصان بسفينته المسماة «جوست»، ومعه ثلاثة من الشياطين؛ هم رقم «٥»، ورقم «٨»، ورقم «١١» ... قامت بارجة حربية تابعة لدولة من دول أوروبا بقصف الجزيرة وحوَّلتها إلى أنقاض ... وفرَّ أكثر أعوان القرصان في قوارب ... وسوف نتولى استجواب الباقين؛ لعلنا نحصل على معلومات تؤدي

إلى كشف مخبأ آخر للقرصان. مطلوب أية معلومات عن اتجاه سفينة القرصان لمحاولة الوصول إليها ... في انتظار تعليمات منكم ...

أرسلوا على الموجة «ك. ك» ... ذبذبة ٣٥٥ كيلوسيكل ... الرموز «١»، «٢» × ١٣ ...

رقم «١»

خرج «أحمد» من قاعة اللاسلكي ... كان «عثمان» يتحدث مع ولد صغير، كان الولد يبكي، فهو لا يعرف أين ذهب أبوه وأمه في هذا الدمار الذي شمل الجزيرة الصغيرة بعد أن هرب القرصان وقصف البارجة ...

قال «أحمد» — وهو ينظر إلى الولد الصغير: إنك دائمًا تجد شيئًا يتعلَّق بك يا «عثمان»، إما قرد صغير ... أو طفل صغير.

عثمان: إنني أحب هذه الكائنات الصغيرة ... إنهم دائمًا في حاجة إلى الحب والحنان والحماية ...

أحمد: ستصبح أبًا ممتازًا ...

كشفت ابتسامة «عثمان» عن أسنانه البيضاء وهو يقول: هذا إذا عشت حتى أصبح أبًا ...

قال «أحمد»: أرسلت الآن برقية إلى رقم «صفر»، أوضحت له فيها الموقف، وطلبت بعض المعلومات والتعليمات.

عثمان: لقد اختفت المدمرة الغامضة في الضباب ... وإذا كان ثلاثة أخماس العالم من الماء، فإن العثور عليها يشبه العثور على سمكة صغيرة في بحيرة واسعة ...

أحمد: لعلَّ عند رقم «صفر» وسائل لمتابعة المدمرة ... فهي بالتأكيد سوف تستمر فترة في هذه المنطقة قبل أن تستطيع الوصول إلى مكان بعيد ...

عثمان: هل تتوقع أن يكون لها مأوًى آخر؟

أحمد: أعتقد أن هذا هو المعقول ... وأعتقد أنه سيكون في أحد البحار الدافئة، فبعد أيام قلائل سوف يشتد البرد، وتتجمد المياه في المحيطات الشمالية وتصبح الحياة مستحيلة ...

عثمان: إن هذا استنتاج مهم ... فمدمرة القرصان سوف تتجه جنوبًا ...

أحمد: أعتقد هذا.

عثمان: إذن لنستجوب بعض السكان هنا ... لعلنا نحصل على معلومات ...

أحمد: هذا ما قلته لرقم «صفر» ...

كانت البارجة تقف خارج الميناء، فلم تكن تستطيع الاقتراب أكثر ... وكان ثمة قارب يقترب من الشاطئ، وقد حمل بعض الضباط، وكانت الجزيرة قد سكنت تمامًا حتى أصبحت شبه مهجورة ... وعندما توقَّف القارب وصعد الضابط ورجاله إلى الشاطئ أسرع «عثمان» و«أحمد» لمقابلتهم ...

كان قائد المجموعة ضابطًا برتبة عقيد، طويل القامة، شديد الأناقة ... وتقدَّم منه «أحمد»، فقال الضابط: العقيد بحري «فريزر»، من قوات صاحبة الجلالة ملكة بريطانيا ...

لم يقابل «أحمد» تقديم «فريزر» بتقديم نفسه له، بل سارع إلى سؤاله: هل يمكن مطاردة المدمرة؟

فريزر: ليس ممكنًا بالنسبة لبارجة، فالمدمرة أصغر وأسرع، خاصةً وأن هذه المدمرة فيما يبدو تملك قدرة على الحركة أكبر من حجمها ...

أحمد: ألا يمكن متابعتها بالرادار؟

فريزر: للأسف، إن الدخان الذي تطلقه حول نفسها يجعل عمل الرادار غير ممكن ... ونحن نعتقد أنهم أضافوا للدخان موادَّ خاصة تُعطِّل عمل الرادار ...

أحمد: وكيف تم الاتصال بكم؟

فريزر: رسالة من أشخاص مجهولين في جزيرة «ويك».

وتذكَّر «أحمد» على الفور مجموعة الشياطين في جزيرة «ويك»، المكونة من «إلهام»، و«هدى»، و«ريما»، و«باسم»، و«رشيد» ...

عاد «أحمد» يسأل: وماذا ستفعلون بعد ذلك؟ ...

فريزر: سنُقدِّم تقريرًا إلى الأميرالية البريطانية بما حدث، وستقوم قوَّاتٌ خاصةٌ بالحضور إلى الجزيرة لتطهيرها من آثار القرصان ... أما نحن فسوف نُسرِع بالانضمام إلى بقيَّةِ القوات، فقد كُنَّا في مُناوَرةٍ مشتركة ...

شكر «أحمد» الضابط «فريزر» الذي أسرع بالعودة إلى بارجته ... بينما بدأ «أحمد» و«عثمان» استجوابهما لبعضِ مَن بقيَ من سكان الجزيرة، الذين كانوا جميعًا سعداء بالتخلُّص من سطوة القرصان ... وقد كانوا جميعًا يعملون كخدم وعبيد في الجزيرة، بينما فرَّ الرجال الأقوياء مع القرصان ...

وفهم «أحمد» و«عثمان» من أحاديث الباقين أنهم لا يعرفون شيئًا عن مأوًى آخر للقرصان ... ووجد «أحمد» و«عثمان» أنهما وصلا إلى طريق مسدود ... ولكن فجأة دبَّت الحياة في الموقف ... قال الطفل الصغير الذي كان يمسك بيد «عثمان»: إنني أعرف مكانًا في الجزيرة لا يعرفه أحد غيري ...

ابتسم «أحمد» للطفل الصغير، وقال مشجعًا: أين هذا المكان؟

قال الطفل: كان أبي يختفي أحيانًا ولا يعود إلى البيت لفترة طويلة ... وذات يوم في الفجر خرج، فخرجت خلفه، ووجدته يسير حتى يصل إلى مكان خارج الغابة الصغيرة ثم يقف، وبعد قليل وصل الكابتن «مورجان»، وسارا معًا إلى داخل الغابة ... فتسللت خلفهما، حتى وصلا إلى بقعة كثيفة الأشجار، ووقفا يتحدثان قليلًا، ثم اتجه أبي إلى شجرة كبيرة ورفع من حولها بعض الأعشاب، ثم انحنى ومدَّ يده ورفع بابًا ... ثم دخل هو والكابتن «مورجان» وأغلقا الباب خلفهما ...

قال «أحمد»: أنت ولد مغامِر ... ما اسمك؟

الولد: اسمي «ماريو» ... ونحن من جزر الهند الغربية.

أحمد: وأنت تعرف الطريق إلى الباب السري يا «ماريو»؟

ماريو: نعم ... إنني أحفظ الطريق ... وقد حاولت مرة أن أفتح الباب، ولكني لم أستطع، إنه باب ثقيل ...

أحمد: وستدلنا على الطريق ... والباب؟ ...

ماريو: نعم ... من أجل هذا الأخ ...

قال ذلك وأشار إلى «عثمان»، فقال له «أحمد»: إن اسمه «عثمان»، وهو يحب الأولاد الأذكياء مثلك ...

عثمان: هل الطريق بعيد يا «ماريو»؟

ماريو: نعم ... هل تستطيع ركوب حصان؟

عثمان: نعم ...

ماريو: إذن نأخذ حصانًا ونذهب ...

وخرج الثلاثة من باب غرفة القيادة في الميناء ... كان كل شيء قد هدأ، واتجهوا إلى إسطبلات الكابتن «مورجان»، وركب «أحمد» حصانًا، وركب «عثمان» حصانًا، وأخذ أمامه «ماريو» ... وسرعان ما كان الثلاثة يتوغَّلون في الجزيرة، ومضت نحو ساعة، ثم أشار «ماريو» إلى غابة صغيرة في شرق الجزيرة، وقال: هذه هي الغابة التي حدثتكم عنها.

وأحسَّ «أحمد» أنه مُقبِل على معرفة أسرار هذا القرصان الداهية، حفيد «مورجان» الكبير ...

# لم يكن «مورجان» ساذجًا!

بعد مسيرة دقائق على الأقدام في قلب الغابة، وصلوا إلى شجرة ضخمة قد أحاطت بها الأعشاب ... وأشار «ماريو» إلى جانب منها، وقال: هنا ...

ثم أسرع يرفع الأعشاب ... وساعده «أحمد» و«عثمان»، ووجدوا حلقة من الحديد، قام «أحمد» و«عثمان» بجذبها معًا ... وسرعان ما انشقَّت الأرض عن باب من الحديد، ووجدوا سُلَّمًا ... ووجد «عثمان» في جانب من المدخل زرًّا ضغط عليه، فأضيء مدخل الكهف، ونزل الثلاثة على سُلَّم متآكل من الحجر المنحوت في الصخر، ووصلوا إلى حجرة واسعة ... وفجأة أحسَّ «أحمد» بساعته تدق دقًّا مختلفًا ... وتذكَّر — بعد أن نسيَ في غمرة الأحداث — أن هذه الساعة مجهزة تجهيزًا دقيقًا للكشف عن المواد المشعة ... إنها نوع متطور من عدادات «جيجر» ... ورفع يده، وكذلك فعل «عثمان»، وشاهدا العقارب وهي تدور في الاتجاه المعاكس ...

قال «عثمان»: إنه اليورانيوم المسروق ...

أحمد: شحنة السفينة العربية ...

عثمان: وقد يكون أكثر من هذا ...

كانت الغرفة مترية، وبجانب الجدران اصطفَّت بعض الصناديق، وعلى الحائط أنواع من الأسلحة، وكان ثمة باب صغير في نهاية الغرفة اتجه إليه «عثمان» و«أحمد» والولد الصغير «ماريو» ... ودفع «عثمان» الباب، ولكنه كان مغلقًا ... وأحضر «أحمد» بلطة من على الجدار، وهوى بضربة واحدة على القفل فكسره ... ثم دخل الثلاثة، وكم كانت دهشتهم ... فعلى العكس من الغرفة الكبيرة المترية ... كانت الغرفة الثانية نظيفة، قد فُرشت بعناية وأناقة، وكان بها مكتب فخم ... وعلى الحائط صورة مرسومة بالزيت للكابتن «مورجان» الكبير، وحول الجدران بعض الدواليب ... وأخذ «أحمد» و«عثمان»

يفتِّشان كل شيء بعناية، وعند أحد الدواليب توقَّف «عثمان» لحظات، وقال: هذا الدولاب ليس عاديًّا ...

أحمد: ماذا به؟

عثمان: لا تَقُلْ ماذا به ... بل قل ماذا خلفه ...

وكانوا قد تمرَّنوا جميعًا على اكتشاف الأماكن السرية ... ولهذا أدرك «عثمان» من شكل الأرفف أن خلفها شيئًا ... فمدَّ يده ونزَعَ الرفَّ الأول، وتحسس القوائم التي كانت تمسكه، وأخذ يُجرِّبها واحدًا واحدًا ... وسمِع الثلاثة صوت باب ينزلق، وانكشفت فجوة واسعة في ظهر الدولاب ...

ظهرت الدهشة على وجه «ماريو» الصغير، وقال: مخبأ سري في الدولاب! يا له من شيء مثير!

عثمان: هل تحب المخابئ السرية؟

ماريو: نعم ... إنني أحلم طول عمري بأنني سأجد مخبأً سريًّا به كنز كبير ...

عثمان: لقد تحقَّق حلمك ... وأعتقد أن في هذا المكان ستجد كنز القرصان ...

قال «أحمد»: دع «ماريو» يدخل أولًا ...

وأسرع «ماريو» يقفز كالقرد الصغير داخل الدولاب، ثم يدخل من الفتحة السرية، وسمِعاه يقول: الكنز!

دخل «عثمان» خلفه، ثم «أحمد» ... وكان «ماريو» مُحِقًّا ... كان هناك ثلاثة صناديق من الخشب المصفح بالحديد ... مغلقة كلها بالأقفال ... وقال «عثمان»: ما الذي جعلك تظن أن هذا هو الكنز يا «ماريو»؟

ماريو: إن كل الكنوز توضع في صناديق ...

عثمان: هذا ما قرأته في الروايات ... ولكن الآن هناك خزائن قوية بدلًا من الصناديق ...

أحمد: لعلَّ «مورجان» ما زال متمسكًا بتقاليد جَدِّه الكابتن «مورجان» الكبير ...

ورفع «أحمد» البلطة، وهوى على قفل أقرب الصناديق إليه ... فانكسر القفل، ورفع «أحمد» الغطاء، ومرة أخرى صاح «ماريو»: الكنز!

كان ثمة كمية ضخمة من الجواهر والعملات القديمة، وقال «عثمان»: إنه كنز الكابتن «مورجان» الكبير ...

وقف الثلاثة مذهولين أمام كميات الجواهر والنقود الذهبية والحلي الثمينة، وقال «عثمان»: لا بد أنه كنز القرصان الكبير «مورجان»، الذي بحث عنه المئات دون أن يعثروا عليه ...

أحمد: حسب المعلومات التاريخية، فإن الكابتن «مورجان» دفن كنوزه التي استولى عليها على شاطئ جزر «بهاما» في البحر الكاريبي ...

عثمان: لعل حفيده هذا عثر عليها ونقلها إلى هنا ... إن مثل هذه اللآلئ النادرة، وهذه الكميات من الذهب لا يمكن إلا أن تكون كنز القرصان الكبير «مورجان».

أحمد: المهم الآن العثور على شحنة اليورانيوم.

عثمان: هناك باب في نهاية الغرفة، لعله يؤدي إلى مخزن اليورانيوم فالمؤشرات تؤكد أنه قريب جدًّا ... فهي تهتز بشدة ...

أسرع «عثمان» إلى الباب ... كان مغلقًا بترابيسَ ضخمة من الحديد ... لاحظ أنها لم تُفتح منذ زمن بعيد وتوقَّف لحظات عندها، ولكنه استجمع رأيه في النهاية وأخذ يفتحها ... ولم يكد ينتهي منها ويفتح الباب حتى حدث شيء غريب ... انطفأ النور فجأة، وشمل المكانَ ظلام دامس ... ثم سمعوا صوت هدير بعيد كأنه قطار يسير على مقربة ...

صاح «أحمد»: إنه فخ لاصطياد من يدخل هذا المكان ... وأشعل بطاريته ...

قال «عثمان»: لقد استربت في هذه الترابيس القديمة ... وأخذ يحاول إغلاق الباب بمساعدة «أحمد» و«ماريو» ... ولكن الهدير ارتفع بشدة، ثم هبَّت ريح قادمة من الباب، وعرف «أحمد» على الفور، وقال: إنه شلال ماء يتدفق في اتجاهنا ... هيا نجري قبل أن نغرق ...

تركوا الكنز الضخم، وأسرعوا ينجون بحياتهم ... فقفزوا داخل الدولاب مرة أخرى ... ثم إلى باب الدولاب ... ولكن كم كانت مفاجأة مرعبة أن وجدوا باب الغرفة الصغيرة قد أُغلق عليهم ... وقال «أحمد»: إنه نظام أتوماتيكي يتم على أساس إغلاق الأبواب؛ حتى يغرق من يدخل إلى مكان الكنز!

كان الماء يتدفَّق خلفهم كالشلال ... والظلام دامس لا يُنيره إلا نور بطارية «أحمد» الصغيرة ... وناول «أحمد» البطارية لـ «ماريو»، وقال لـ «عثمان»: يجب أن نحطِّم هذا الباب فورًا وإلا غرقنا ...

وانهال «أحمد» على الباب بالبلطة التي ظلَّ يحملها طول الوقت، ووقف «ماريو» يرقب «أحمد» و«عثمان» وهما يتناوبان تكسير الباب، بينما أحسَّ بالمياه تصل إلى ركبتيه ...

قال «ماريو» فزعًا: الماء!

ردَّ «عثمان»: لا تخف يا «ماريو» ... يجب أن تكون أكثر شجاعة ...

وقفز فأر ضخم على ذراع الصغير، فصاح مرة أخرى بفزع: إن الفئران تهاجمنا!

وفعلًا بدأت مئات الفئران التي أفزعها الماء تقفز في كل اتجاه وهي تُطلق أصواتها المفزعة ... وكان الماء يضغط على الباب من الداخل ... ورغم جهود «عثمان» لم يستطع زحزحته ... ولكن «أحمد» استطاع أن يكسر جزءًا كبيرًا منه ... تدفَّق منه الماء خارجًا إلى الغرفة الخارجية الواسعة ... واطمأنَّ «أحمد» و«عثمان» قليلًا ... ثم سحب «عثمان» «ماريو» الصغير ... ودفعه من كسر الباب ... ثم تعاونَ هو و«أحمد» على كسْر بقية الأخشاب، ونفذا من الباب إلى الغرفة الواسعة ...

أطلق «عثمان» شعاع الضوء على الباب العلوي الذي نزلوا منه، وصاح في ضيق: الباب مغلق!

أحمد: إنه فخ مُحكَم ... هيا نصعد السُّلَّم ...

أخذا يصعدان السُّلَّم ... و«ماريو» ممسك بيد «عثمان»، وقد تكاثرت الفئران التي تسلَّقت السُّلَّم أيضًا طلبًا للنجاة. وأخذت تقفز على أقدامهم وأذرعهم، و«ماريو» الصغير يصيح فزعًا و«عثمان» يشجعه ...

وصلوا إلى الباب العلوي المغلق ... وكان المكان ضيقًا لا يسمح لـ «أحمد» باستعمال البلطة بحرية ... ولكن لم يكن أمامه إلا أن يحاول، فقد أخذ الماء يرتفع تدريجيًّا على السُّلَّم ...

قال «عثمان»: إنه ماء البحر!

أحمد: نعم ... لقد أعدَّ «مورجان» الصغير فخًّا مُحْكَمًا لمن يحاول الوصول إلى كنوز جَده ...

وأخذ «أحمد» يهوي بالبلطة على الباب ... ولكن الباب الضخم كان صامدًا، وأخذ منسوب الماء يرتفع فوق السُّلَّم ... ووصل إلى أقدامهم سريعًا ... و«أحمد» يهوي بالبلطة على الباب الذي رفض أن يتزحزح من مكانه. كان واضحًا أنهم قد وصلوا إلى نهاية المطاف، وأن لا شيء يمكن أن ينقذهم من مصيرهم المحتوم ...

# المعركة بين الماء والهواء!

وصلت المياه إلى صدر «أحمد» و«عثمان» ... وكان «عثمان» يحمل «ماريو» وأخذ يُشجِّعه حتى لا يخاف الفئران الكثيرة، التي كانت تعوم بجوار رءوسهم، ولم يكفَّ «أحمد» عن محاولة كسر الباب بالبلطة ... ولكن المياه التي غمرت أكتافه ثم أخذت تصعد إلى رقبته جعلت من المستحيل عليه أن يفعل شيئًا، وأخذت ضرباته تقل ... وأخذ الماء يصل إلى أنوفهم ... وبكى «ماريو» الصغير. وإن حاول أن يكتم صوته.

لحظات كانت بين الحياة والموت ... ولكنهم سمِعوا فجأةً صوت أقدام فوق رءوسهم وأخذ «أحمد» يضرب بالبلطة بجنون، وسمع فوقه ضربات على الباب، وأخذ يصيح مناديًا ... وخُيِّل إليه أنه يسمع صوتًا يعرفه ... ولكن مَن الذي سيأتي إلى هذا المكان؟

أطلق آخر صيحة ثم أغلق فمه ... فقد وصل الماء إلى ما فوق ذقنه ... وكتم أنفاسه ... ثم حدثت المعجزة ... فقد بدأ الباب يرتفع تدريجيًّا، وكان الماء قد غطَّى رءوسهم، ولكنَّ أيديًا كثيرة امتدت وساعدت الثلاثة على الصعود إلى سطح الأرض.

وفتح «عثمان» عينيه على وجه «إلهام» الباسم وهي تقول: كدتم تغرقون في شبر ماء.

قال «عثمان» وهو يُجفِّف وجهه: فعلًا.

أحمد: كيف أتيتم؟

إلهام: سمعنا أنكم ستغرقون ... فأسرعنا لنجدتكم.

وأخذ «أحمد» و«عثمان» يتبادلون التحيات الحارة مع الشياطين الخمسة؛ «إلهام»، و«هدى»، و«ريما»، و«باسم»، و«رشيد».

قالت «إلهام»: ماذا حدث لكم؟

أحمد: قبل أن تسمعوا ماذا حدث لنا، قولوا لنا كيف حضرتم؟

إلهام: المسألة بسيطة جدًّا ... بعد أن اتصلنا بالبارجة وعلمنا أنها قصفت جزيرة القرصان حضرنا مُسرعين؛ فقد تحتاجون لمساعدة ... استأجرنا طائرة خاصة من ميناء «ويك» إلى هنا.

أحمد: وكيف عرفتم مكان الكهف السري؟

إلهام: أخذت العدادات تتحرك في هذا الاتجاه، عدادات قياس الإشعاع الذري، فاتجهنا إلى هذا المكان ... فقد تأكدنا أن العدادات التي معكما سوف تقودكم إلى هنا.

أحمد: وسمعتم الدقَّ على باب الكهف؟

إلهام: نعم ... ولاحظنا اندفاع الهواء من باطن الأرض إلى السطح، فعرفنا أن هناك ضغطًا قويًّا يدفع الريح ... ومن تجاربنا السابقة تأكدنا أن ثمة شيئًا خطيرًا يحدث، وأنكم قد تكونون هدف هذا الخطر.

أحمد: لقد نجونا بمعجزة ... ولكن «بو عمير» و«فهد» و«قيس» موجودون الآن في سفينة القرصان ... ولا نعرف لهم مصيرًا.

ساد الصمت ... وكان الجميع يجلسون بجوار الشجرة الضخمة قرب باب «الكهف»، وكان «عثمان» يُجفِّف ثياب «ماريو» الصغير الذي بدا مستسلمًا له تمامًا وسعيدًا بهذه العناية.

قال «أحمد»: هل تعرفون أن في هذا الكهف توجد مجموعة كنوز القرصان الشهير «مورجان»؟

نظر إليه الشياطين الخمسة، فقالت «إلهام»: كيف عرفت؟

أحمد: ليست مسألة معرفة ... لقد رأيناها أنا و«عثمان» ... وعندما فتحتنا باب الصندوق بدأ هذا السيل من المياه الذي كاد يُغرقنا.

إلهام: معنى هذا أنَّ في الكهف كنوزَ «مورجان» ... والمواد الذرية!

أحمد: نعم ... والمواد الذرية لا خوف عليها، فهي محفوظة في صناديق من الرَّصاص السميك ... الخوف على هذه الكنوز التي لا تُقدَّر بثمن.

ريما: وما هي خطتك في هذا الشأن؟

أحمد: سنُخفي هذه المعلومات تمامًا الآن ... إن مهمتنا العاجلة هي العثور على الشياطين الثلاثة وإنقاذهم من براثن القرصان.

فهد: ما رأيكم في الانتقال فورًا من هذه الجزيرة النائية؟ إن من الصعب متابعة أي شيء من هنا.

أحمد: إن ما يحدد انتقالنا هو خط سير سفينة القرصان.

تحدَّث «باسم» فقال: أعتقد — حسب استنتاجاتنا السابقة — أنه سيبتعد تمامًا عن هذه المنطقة.

وسيذهب بعيدًا جدًّا، وقد حلَّ الشتاء الآن؛ فلن يستطيع الصعود إلى المنطقة المتجمدة الشمالية ... والمنطقي أن يذهب إلى البحار الدافئة جنوبًا.

أحمد: ما رأيكم في العودة إلى المقر السري الرئيسي لنُقدِّم تقريرًا إلى رقم «صفر»، ونطلب منه مساعدَتنا في تحديد مسار سفينة القرصان؟

ريما: إنني أؤيد هذا الاقتراح.

ووافق بقية الشياطين، وكان «ماريو» الصغير يتابع المناقشة، وقد بدا عليه الحزن، فقال «عثمان»: سأبقى هنا.

أحمد: من أجل «ماريو»؟

عثمان: من ناحية ... ومن ناحية أخرى ليس من المستبعد أن يعود «مورجان» إلى هنا مرة أخرى، فلست أتصور أن يتخلى عن كنوز جده القرصان «مورجان»، وعن صناديق اليورانيوم الثمينة، وليس من المستبعد أن يكون قد ترك في مكان ما من الجزيرة ... أشخاصًا يراقبون ما حدث، ويبلغونه عما يدور ... فإذا ما غادرنا الجزيرة عاد إليها ليأخذ الكنوز والصناديق.

هدى: في هذه الحالة سأبقى معك.

فكَّر «أحمد» لحظات وقال: لا بأس ... سيعود الباقون إلى الكهف السري ... وسنستعين هناك بالأجهزة الحديثة في رصد مسار سفينة القرصان.

وهكذا بعد ساعة كان «أحمد» و«ريما» و«باسم» و«رشيد» قد ركبوا الطائرة التي حضر بها الشياطين من جزيرة «ويك» واتجهوا إلى لندن ... ولم يقضوا في مطار «هيثرو» أكثر من ساعتين حتى حصلوا على تذاكر السفر إلى القاهرة. وفي فجر اليوم التالي كانت سياراتهم تقترب من الكهف السري.

استسلم الشياطين لنوم عميق ... وفي منتصف النهار تمامًا طلب «أحمد» مقابلة رقم «صفر» الذي حدَّد له موعدًا بعد عشر دقائق، وتحدد مكان الاجتماع في القاعة رقم ١٦ من قاعات الاجتماعات الصغيرة، وجلس «أحمد» وحيدًا، ولكن رقم «صفر» كان خلف زجاج يرى «أحمد»، ولا يراه «أحمد».

قال «أحمد»: إننا في حاجة إلى معلومات عاجلة عن سفينة الكابتن «مورجان» التي استطاعت الفرار من مأواها قرب جزر «شتلند» ... إن عليها ثلاثة من الشياطين؛ هم «بو عمير»، و«فهد»، و«قيس»، وإنني أخشى أن ينتقم منهم القرصان بعد أن كشفنا مأواه وحطَّمناه.

ظلَّ رقم «صفر» صامتًا، فمضى «أحمد» يقول: لقد عثرنا في الجزيرة على صناديق ضخمة تحوي كنوز الكابتن «مورجان» الكبير التي جمعها من النهب والسلب طَوال حياته كقرصان، والتي كان مكانها كما تذكر كتب التاريخ في جزر «بهاما» ولكن يبدو أن حفيده نقلها إلى مأواه ...

سأل رقم «صفر»: وما هي أخبار المواد المشعة؟

أحمد: موجودة مع الكنز الكبير في نفس الجزيرة، وقد سجلت العدادات التي حملناها معنا ظاهرة وجودها، وكانت سببًا في إنقاذي أنا و«عثمان» من الموت غرقًا. رقم «صفر»: لقد أدَّيتم عملًا بارعًا، واستطعتم كشْف ما عجزت الأجهزة السرية في جميع دول العالم عن الوصول إليه.

أحمد: ولكننا في المقابل نكاد نفقد ثلاثة من الشياطين.

صمت رقم «صفر» بعد هذه الملاحظة، ثم قال بعد لحظات: إن الخطأ الذي وقعنا فيه جميعًا أننا حاولنا الوصول إلى هذه المدمرة الغامضة بواسطة مطاردتها في البحار.

فهم «أحمد» على الفور ما يقصده رقم «صفر» فقال: الهواء أفضل!

رقم «صفر»: بالضبط ... وقد طلبت من قسم العمليات الخاصة أن يُعد لكم طائرة بمواصفات معينة.

أحمد: المهم يا سيدي تحديد مكان السفينة.

رقم «صفر»: إن رجالنا في مختلف جهات العالم عندهم تعليمات بمتابعتها حيث تذهب، وعندما تصلنا أية معلومات عن اتجاهها فسوف تغادرون المقر السري فورًا في الطائرة الخاصة التي أرجو أن تشاهدها.

أحمد: نشكرك كثيرًا يا سيدي.

وغادر رقم «صفر» القاعة الصغيرة، وأسرع «أحمد» يتصل بقسم العمليات الخاصة، وطلب مشاهدة الطائرة بناءً على تعليمات رقم «صفر»، وتحدد له موعد بعد نصف ساعة ...

سارع «أحمد» بالاتصال ببقية الشياطين، وبعد نصف ساعة كانوا جميعًا يقفون أمام «الهنجر» المغلق حيث تُعد الطائرة الخاصة، ثم فتح الباب، ونظروا جميعًا إلى الطائرة،

كانت من طراز «جت ستار» الذي يتسع لتسعة أشخاص عدا الطاقم، وأخذ أحد المهندسين يشرح لهم الإضافات التي أضيفت إليها، إن لها عجلات خاصة تمكنها من النزول في أي مكان، وزلافات للهبوط في المناطق الثلجية، مسلحة من الجانبين بصواريخ خفيفة، ولكن شديدة الفتك، ومن فتحات التوربينات الأربعة يمكن أن تطلق رصاص المدافع الرشاشة.

# المرسى الأخير!

في فجر اليوم السادس جاءت الإشارة الموعودة، كانت من أحد عملاء رقم «صفر» ... شوهدت سفينة تنطبق عليها الأوصاف تدور حول رأس الرجاء الصالح، ستصلكم معلومات أخرى من المحطة التالية إذا كان الاتجاه الذي حددناه صحيحًا.

وتم إبلاغ الشياطين بالإشارة، وبدأ النشاط يدب في المقر السري، كانت كل التفاصيل تدرس بعناية؛ خط سير الطائرة، المحطات التي ستقف فيها، عدد ركابها من الشياطين، احتمالات ما حدث للشياطين الثلاثة الأسرى عند القرصان.

وفي منتصف الليل وصلت الإشارة التالية: السفينة أخذت طريقها إلى البحر الكاريبي.

وعندما أبلغ الشياطين بهذه البرقية قال لهم «أحمد»: إن القرصان يعود إلى حيث عاش جَدُّه «مورجان» الكبير ... إنكم لم تنسَوْا طبعًا أن القراصنة كانوا يعيشون في منطقة البحر الكاريبي، حيث كانت أشهر موانئ القراصنة ... «جامايكا» ... «بربادوس» ... «هسبانيولا» ... «بهاما» ... وغيرها ... علينا إذن أن نطير فورًا إلى هذه المنطقة، إن عندي شبه يقين أننا سنجده في إحدى هذه الموانئ.

إلهام: هل تتصور أن يلجأ علنًا إلى موانئ تسيطر عليها قوات حكومية ... إن ذلك يعرضه للقبض عليه.

أحمد: لم أقصد ذلك بالطبع، لكن قصدت أن له مخبأ آخر في هذه المنطقة، ربما جزيرة صغيرة من آلاف الجزر المتناثرة في عرض المحيط.

هدى: سيمضي وقت طويل قبل العثور عليه.

أحمد: لا تنسَ أن معهم أجهزة إرسال دقيقة يمكن أن يتصلوا بها، ومشكلة هذه الأجهزة أنها قصيرة المدى، لهذا لا تصل إلينا هنا، ولكن الأجهزة تعمل على مسافة عشرين كيلومترًا، وعلينا أن نطوف حول كل الجزر المنعزلة في هذه المنطقة، وسنجده في إحداها.

باسم: وفي نفس الوقت قد يُخطِرنا أحد أعوان رقم «صفر» بمكان السفينة أو على الأقل باتجاهها.

أحمد: هذا صحيح.

بعد ساعة من هذا الحديث كان الشياطين الخمسة؛ «أحمد»، و«إلهام»، و«ريما»، و«باسم»، و«رشيد» يركبون الطائرة الصغيرة من طراز «جت ستار» ذات التوربينات الأربعة.

في هذا الوقت كانت سفينة القرصان القوية المدججة بالسلاح تنساب تحت ظلام البحر الكاريبي، وقد اقتربت من نهاية رحلتها الطويلة، من شمال أوروبا إلى جنوب أمريكا، وكان الكابتن «مورجان» يقف وحيدًا ... تحت سماء سوداء أضاءتها النجوم، يفكِّر فيما حدث له.

لم يكن يصدق أن مجموعة من الأولاد يمكن أن يفعلوا ما عجزت الحكومات عن تحقيقه. لقد استطاع أن يحصل على كنوز الكابتن «مورجان» الشهير، وأن ينقُلها إلى مكان حصين لا يمكن لمخلوق أن يصل إليه، ثم استطاع شراء مدمرة قديمة وتحويلها إلى قلعة متحركة تضج بالقوة، وأعاد أسطورة القراصنة إلى القرن العشرين، كما أنه يقوم بأكبر عمليات سطو في التاريخ بالحصول على شحنات من المواد المشعة، ويبيعها بملايين الجنيهات سرًّا.

فكَّر في أن هذا المجد الذي كان يحلم به قد تلاشى في لحظات، وأحسَّ برغبة رهيبة في الانتقام ممن حطَّموا أسطورته، فترك حاجز المدمرة ونزل مُسرعًا إلى الكابينة، وطلب إرسال الأسرى الثلاثة.

كان الأسرى الثلاثة هم «بو عمير»، و«فهد»، و«قيس» ... الذين تسلَّلوا إلى المدمرة حسب الخطة الموضوعة، ولكن الأحداث غيرت كل شيء، ووجدوا أنفسهم أسرى الكابتن «مورجان» الذي عاملهم معاملة القراصنة، فقيَّدهم بالحبال، وألقى بهم في قاع المدمرة، لا يطعمون إلا العيش الجاف والماء القليل، وعندما دخل الثلاثة لم يكن ليتصور أحد أنَّ الشبَّان اللامعين الذين خاضوا عشرات المعارك والمغامرات وقضَوْا على أعتى اللصوص والمجرمين، يمكن أن يتحولوا إلى ثلاثة من الأشباح قد انهارت قوتهم، وبدت عليهم علامات التعب والهزال.

وقف الثلاثة أمام «مورجان»، وقد رُبطوا بحبال غليظة، وقال «بو عمير» بحدة: اسمع يا كابتن «مورجان» ... إن المعاملة التي نلقاها منك مهينة لنا، وسوف تدفع ثمن ذلك غاليًا.

نظر إليه «مورجان» باستخفاف وقال: ومَن الذي سيتقاضى الثمن؟

بو عمير: إن لنا زملاء أقوياء.

مورجان: إن زملاءكم لن يصلوا إليكم أبدًا ... وإذا كان ذلك العجوز المخرف «جانسن» قد باح لكم بمكاننا فإن مكاني هنا لا يعرفه أحد إلا عدد قليل من رجالي ... وهؤلاء من أخلص أعواني وأقواهم.

بو عمير: أؤكد لك يا كابتن «مورجان» ... إن أصدقاءنا لن يهدأ لهم بال حتى يصلوا إلينا.

مورجان: إنني في انتظارهم إذا استطاعوا الوصول، وهذا ما أشك فيه، فإذا وصلوا فسوف يكون انتقامي منهم مُروِّعًا، تمامًا كما سأنتقم منكم.

وأخذ «مورجان» يسير في الغرفة قائلًا: سوف أعاملكم معاملة الحيوانات البرية، لقد حاولتم القضاء عليَّ، وواجبي يُحتِّم عليَّ أن أنتقم، وسوف أنتقم على طريقة القراصنة، كما كانوا يفعلون مع عبيدهم.

فهد: وماذا تريد منا الآن؟

مورجان: ليس لك حق في أن تسأل؟

فهد: ليس من الشهامة أن تعامل أسراك بهذه الطريقة.

مورجان: وهل كان من الشهامة أن تُحطِّموا حياتي؟

فهد: إنك خارج على القانون يا كابتن «مورجان»، أنت لص!

دار الكابتن «مورجان» على عقبيه، كأنما لدغته أفعى، وصاح: أنت تناديني باللص أيها التافه ... سوف ترى!

ودقَّ «مورجان» جرسًا فحضر بعض الحراس، وطلب منهم اقتياد الثلاثة إلى قاع السفينة، ونزل الشياطين السلالم العالية إلى جوف السفينة بالقرب من غرف الآلات ... حيث ترتفع درجة الحرارة ويثقل الهواء.

ارتمى الثلاثة في غرفتهم الحديدية الصغيرة على الأرض، وقال «قيس»: ماذا حدث لرقم «صفر»؟! ... ماذا حدث لبقية الشياطين؟! لقد مضى على عملية جزيرة «شتلاند» سبعة أيام دون أن يفكروا في مطاردة هذا القرصان!

فهد: أؤكد لك أنهم يبذلون كل وسعهم، ولكن لا تنسَ يا «قيس» أن هذا الرجل يسير في المحيطات بعيدًا عن خط السير العادي للسفن، بحيث يصعب متابعته.

بو عمير: إن الأمل معقود الآن على ميناء الوصول، فهذه أول مرة تصل فيها السفينة إلى الأرض، ومن الواضح أن سرعة السفينة تنخفض تدريجيًّا، ومعنى ذلك أنهم على وشك الوصول إلى المرسى الأخير.

وفعلًا كانت السفينة تقترب من إحدى الجزر الاستوائية قرب البحر الكاريبي، وقد أوشك الفجر على البزوغ، وفرش الضوء الشاحب شعاعَه على صفحة مياه الكاريبي الزرقاء.

كانت جزيرة غريبة، قد نبتت فيها الأشجار بطريقة وحشية، أخفتها من جميع نواحيها، وبدت ساكنة لا حياة فيها، وكأنما لم تطأها قدم إنسان من قبل، ولكن باقتراب السفينة بدأت الحياة تدب في الجزيرة الساكنة، فقد أسرع عدد من الرجال إلى الميناء المختفي تحت الأشجار، وأضاءوا أنوارًا متقطعة تستدل بها المدمرة على مكان رسوها، وصعد الكابتن «مورجان» الذي قضى أكثر الليل ساهرًا إلى حاجز السفينة يرقب كل شيء بعينين حمراوين، وقد تدلَّت لحيته الطويلة على ذقنه، وأحاط به بعض أعوانه.

أخذت المدمرة تتهادى داخلة إلى الميناء حتى رست تحت مجموعة من الأشجار الاستوائية العالية، وتحركت بعض القوارب الصغيرة إلى ناحية المدمرة، وأخذت بعض الحبال التي ألقاها البحارة، ثم أسرعت مرة أخرى إلى الشاطئ، وأخذت تربط هذه الحبال في أوتاد دُقَّت خصوصًا لتصبح السفينة ملاصقة للشاطئ، مختفية عن العيون تحت الأشجار.

نزل الكابتن «مورجان» إلى الشاطئ، وأسرع إليه بعض الرجال الواقفين، وقال أحدهم: مرحبًا بك يا كابتن في أرض أجدادك!

ردَّ «مورجان»: ليست الأحوال على ما يرام يا «هيلي»، لقد تحطَّم مأوانا في الشمال، وهذا ملاذنا الأخير.

هيلي: كيف حدث هذا يا كابتن؟

مورجان: بالصدفة السيئة، لقد عرف المكان أحد البحارة النرويجيين، ولم يستطع إغلاق فمه، وعندما أرسلنا رجالنا للقضاء عليه كان قد قال الكثير.

هيلي: وبعد ... ماذا سنفعل؟

مورجان: لا شيء ... سنُوقف نشاطنا فترة من الوقت حتى تسكن الضجة، فمن المؤكد أن العالم كلَّه يبحث عنا الآن.

وسكت «مورجان» لحظات، ونظر إلى رجاله، فرأى في عيونهم الضيق، فهم جميعًا من اللصوص وقُطَّاع الطرق الذين لا يعرفون من الحياة إلا السلب والنهب، قرأ ما يدور برءوسهم، فقال: إن عندي حتى الآن ما يكفينا، وسوف نستأنف نشاطنا قريبًا.

قال ذلك واستدار ماشيًا إلى حيث يوجد قصره الكبير تحت الأشجار، دون أن ينتظر تعليقًا من أحد.

# انتقام القرصان!

ظل الشياطين الثلاثة ... «بو عمير»، و«فهد»، و«قيس» في قاع السفينة طول الليل ثم طول النهار الثاني، وفي المساء جاء بعض الحراس واقتادوهم دون كلمة واحدة وأنزلوهم إلى الشاطئ، ثم ذهبوا بهم إلى غرفة طعام، وفكُّوا رباطهم وبعد لحظات رأَوْا لأول مرة من أيام طويلة أطباقًا من اللحم والمكرونة تُحمل إليهم.

لم يصدِّقوا عيونهم، ولكن أحد الحراس قال: لقد أمر الكابتن «مورجان» أن تأكلوا جيدًا، ثم تقابلوه بعد ذلك.

دهش الشياطين الثلاثة لهذا التحول المفاجئ في معاملة الكابتن «مورجان» ... ولكن ما كان مهمًّا في هذه اللحظة هو أن يأكلوا، وانقضُّوا على أطباق الطعام كالوحوش وهم لا يكادون يُصدقون ما يحدث، وفي دقائق قليلة انتقل كل ما في الصحاف إلى بطونهم ... وازدادت دهشتهم عندما حمل إليهم الحراس الفاكهة، ثم أتبعوها بأكواب الشاي. قال «قيس» وهو يتمطَّى: إنني لا أصدِّق نفسي، ماذا حدث للكابتن «مورجان»؟

بو عمير: من المؤكد أنه يضع خطة معينة.

قيس: في الأغلب سيطلب منا أن ننضم إلى قطيع العبيد الذين يعملون في جزيرته.

ولم يَطُل حديثهم، فقد أخذهم الحراس لمقابلة «مورجان»، وساروا عبر دروب الغابة التي بدأ الظلام يغشى أشجارها وشواطئها، وفوجئوا في وسط ساحة متسعة بفيلَّا أنيقة على الطراز الإنجليزي القديم، وقال «فهد»: إنها شبه الفيلات التي كنا نراها في أفلام القراصنة.

بو عمير: إن «مورجان» يعيش في الماضي ... إنه يحاول أن يبعث التاريخ من مرقده، وأن يُعيده في الزمن الحاضر.

قيس: إنه مجنون خطر؟

وما حدث بعد ذلك دلَّ على أن «بو عمير» أدرك الحقيقة كاملة ... فقد استقبلهم الكابتن «مورجان» وهو يلبس ملابس الفرسان، ولم يكد يراهم حتى تحدَّث على الفور، فقال: إن أمامكم فرصة عظيمة للحرية!

سكت الثلاثة في انتظار أن يُكمل حديثه، فمضى يقول: ليس من عادتي أن أقتل الأسرى الذين يقعون في يدي ... إنها طريقة خسيسة لا أرضى عنها، فلا بد للرجل أن يموت في ساحة القتال.

تبادل الثلاثة النظرات دون أن يفهموا ماذا يريد منهم، ولكنه لم يترك وقتًا يضيع، وقال: عندما كان العبيد يهربون في الماضي من أسيادهم، كانت تتم معركة رائعة بين الأسياد والعبيد، فقد كانوا يُطلقون في أعقابهم كلاب الصيد الشرسة، وينطلقون خلفهم على الجياد.

قال «بو عمير» بضيق: ماذا تريد منا بالضبط يا كابتن «مورجان»؟

مورجان: كما قلت الآن ... سأمنحكم فرصة عظيمة للحرية ... أرجو أن تنتهزوها!

بو عمير: أرجو أن تُوضِّح الأمر أكثر!

مورجان: سأعطي لكل منكم خنجرًا ... ثم أترككم تجرون في أنحاء الغابة ... وهناك قارب صغير وضعته على الشاطئ ... إذا وصلتم إليه قبل أن أصل إليكم فاركبوه واهربوا.

بو عمير: إنك تعاملنا كالحيوانات المتوحشة.

قال «مورجان» بغضب مكتوم: لقد عاملتموني أسوأ من ذلك.

بو عمير: ماذا تريد منا الآن؟

مورجان: أن تتسلموا خناجركم ثم تنطلقوا ... وسوف أتبعكم بعد ساعة كاملة ... فابتعدوا بأسرع ما تستطيعون.

بو عمير: وإذا رفضنا؟

مورجان: وهل يرفض الإنسان فرصة للحياة والحرية؟

بو عمير: إن العالم المتحضر يرفض مثل هذه الأساليب الوحشية.

مورجان: دعك من العالم المتحضر. إنني أمقته من كل قلبي، إن ما يهمني هو الماضي، الماضي الجميل.

بو عمير: لنفترض أننا سنرفض مغادرة أماكننا الآن.

مورجان: في هذه الحالة ليس أمامي إلَّا أن أسلِّمكم إلى أعواني، إنهم لن يترددوا في إطلاق الرَّصاص عليكم عند أول شجرة، بل إنهم قد يضنُّون بالرصاص ويعلقونكم على مشانق الأشجار.

أدرك الشياطين الثلاثة أنهم أمام مجنون خطر، وإنَّ كشْف المخبأ السري لسفينته في بحر الشمال قد ذهب بالبقية الباقية من عقله، والتفت إليهم «مورجان» قائلًا: سوف أنصحكم نصيحة هامة ... مفيدة لكم ولي أيضًا، إن الطرف الجنوبي الغربي من الجزيرة عبارة عن مستنقع خطير، تعيش فيه أخطر الحَيَّات الاستوائية التي يمكن أن تقضيَ عليكم بلدغة واحدة، وفي نفس الوقت ينتشر في الشمال الشرقي أيضًا نوع من الخنازير البرية شديدة التوحش، وأنا لا أريدكم أن تموتوا بغير يدي.

صمت «مورجان» لحظات، ثم قال: والآن انطلقوا.

لم يكن أمام الشياطين الثلاثة بُدٌّ من الخروج، فهناك على الأقل فرصة للحياة ليست متاحة لهم إذا وقعوا في أيدي القراصنة الذين سوف يُعلِّقونهم على المشانق في لحظات.

تسلَّم كل واحد منهم خنجرًا مُقوَّسًا من النوع الذي يستخدم في كسر الأغصان أثناء الجري وسط الأشجار المتشابكة، وخرجوا إلى الليل الاستوائي الحار، حيث تطنُّ عشرات من الهوام منها الناموس المتوحش الذي يهري الأبدان بلدغاته.

قال «بو عمير»: أمامنا ساعة كاملة ... وأنا أظن أن هذا المجنون قد وضع القارب الذي أشار إليه عند الطرف الجنوبي الغربي، حتى إذا أفلتنا منه، وقعنا بين أنياب الحَيَّات السامَّة ... ولكن من الأفضل أن نُغامر بدلًا من أن يلحَقَ بنا هذا المجنون.

فهد: إذن سوف نتجه إلى الجنوب الغربي.

بو عمير: هذا ما أراه.

قيس: وأنا أوافق.

وبدأ الثلاثة جريهم بين الأشجار، ظلُّوا ساعة يجرون، كان الطعام الذي تناولوه قد أعطاهم بعض القوة، واستعادوا بعض قوتهم التي أضعفها السجن والطعام السيئ ... ثم توقَّفوا لاهثي الأنفاس ...

وقال «فهد»: يجب ألَّا نفقد أعصابنا، إن الكلاب سوف تشم آثارنا سريعًا، فيجب أن نضع خطة للتغلُّب عليها.

بو عمير: أحسن خطة هي الصعود فوق الأشجار.

قيس: إن هذه أفضل مصيدة نقع فيها بالنسبة لـ «مورجان»!

بو عمير: إنني أتصور أنه لن يطلق علينا النار ليلًا إذا لم نكن هدفًا واضحًا بالنسبة له، وبين الأغصان الكثيفة لا أظن أنه سيرانا.

فهد: هناك خطأ ارتكبناه من البداية، لقد سرنا في خط مستقيم ممهَّد تقريبًا ... وهو نفس الطريق الذي يسلكه أي شخص يسير في هذه الغابة المخيفة ... ومن الأفضل أن نسيرَ في خط متعرِّج.

بو عمير: معك حق ... وعلى كل حال، نحن نسبقه الآن بساعة كاملة ... وعندنا الوقت لاختيار طريقنا.

وبدأ الثلاثة يجرون في خط متعرج، كانت الطيور تطير فزِعة وهم يقتربون من أوكارها والحيوانات الصغيرة تفرُّ هاربة، وأنواع متعددة من الحشرات الطائرة تصطدم بوجوههم وأجسامهم، وكان أقسى من هذا كله هذا الناموس الذي يلتصق بأجسادهم ... ناموس كبير كأنه العناكب، يمتصُّ الدَّم، ويُلهب الجلد، وكان عليهم أن يضربوا وجوههم بأيديهم لطرد هذا العدو المسلح.

تعبوا بعد فترة من الجري ... واختاروا مكانًا تحف فيه الأشجار، ونظروا إلى النجوم لتحديد مسارهم ...

وقال «قيس»: تعالَوْا نستخدم خطة الثعلب في تضليل مطارديه ... لعلكما تذكرانها، لقد تعلمناها في السنة الأولى من دراستنا في «ش. ك. س».

كانوا جميعًا يتذكرونها، الجري في اتجاه ثم العودة في نفس الاتجاه، ثم الانحراف والعودة إلى منتصف الطريق، إن هذا يُخفي آثار أقدامهم، ويُبدِّد رائحتهم ويُثير حيرة المطارِدين.

بدءوا يطبقون الخطة، كانوا يتصرفون كالمجانين، لقد كانت حياتهم رهنًا بما يفعلون، ولم يكن أمامهم حل آخر، فليس هناك من يساعدهم في هذه الجزيرة الاستوائية الحارة.

ظلُّوا يجرون ويرتاحون ويجرون ويرتاحون حتى انقضى جزء كبير من الليل دون أن يسمعوا أثرًا لمطاردهم المجنون ... وبدأ نوع من الثقة يتسلل إلى نفوسهم، وكانوا قد أشرفوا على طرف الجزيرة ... وقفوا يستردون أنفاسهم ...

وقال «بو عمير» بنفَسٍ متقطع: لعلَّ جزءًا من خطة «مورجان» أنه سيعرف أننا سنجري حتى تنقطعَ أنفاسنا، ثم بعدها نصبح فريسةً سهلة له، لهذا يجب أن نرتاح.

قيس: بالإضافة إلى هذا، فنحن الآن قرب الطرف الجنوبي الغربي للجزيرة ... حيث توجد الحيَّات، ومن العبث أن ندخل منطقتها ليلًا، فما أسهل أن تنقضَّ علينا دون أن نرى!

فهد: إذن نختار ثلاثة أشجار متقاربة وينام كل واحد منا على فرع في شجرة ... ونستيقظ عند أول ضوء لنستأنف جرينا.

وسرعان ما اختاروا ثلاثة أشجار تسلَّقوها كالقِرَدة ... وانطرح كل منهم في غصن عريض ... وسرعان ما راحوا في سبات عميق.

# الموت في كل مكان!

كان «بو عمير» أولَّ من استيقظ من الشياطين الثلاثة، سمع زقزقة العصافير وهي تطير مرة واحدة، وأدرك بذكائه أن العصافير لا تزقزق بهذه الطريقة إذا كانت هادئة، وأن سبب هذا الاضطراب المفاجئ في ضوء الفجر الذي أخذ يتسلَّل بين الأشجار يعني شيئًا واحدًا؛ أن أحدًا يقترب.

وقد صدَقَ حَدْس «بو عمير»، فقد سمع صوت أقدام الجياد وهي تقترب من مكانهم ... وأدهشه أنه لم يسمع نباح الكلاب، فكانت مهمته في هذه اللحظة إيقاظ «فهد» و«قيس» وفكَّر لحظات، ثم استخدم مهارته المعروفة في قذف الخنجر ... فأمسكه ورفع ذراعه ثم أطلقه كالسهم فاستقرَّ الخنجر بقوة على بعد سنتيمترات قليلة من رأس «فهد» الذي استيقظ على الفور وشاهد الخنجر فعرف كل شيء، ولحسن الحظ لم يكن محتاجًا لأن يفعل نفس الشيء مع «قيس»؛ فقد كان الغصن الذي ينام عليه قريبًا منه ... لهذا اكتفى بأن كسَرَ غصنًا، ومدَّه حتى لامس وجه «قيس» الذي استيقظ فورًا.

استخدم الشياطين الثلاثة صوت الوطواط في التفاهم، وكان وقع حوافر الجياد واضحًا رغم أنها تسير على العشب الطري، وبدأ أول فارس من أعوان «مورجان» يتقدَّم وأخذ يدور بحصانه هنا وهناك، ثم صاح: لا أثر لأحد هنا يا كابتن!

ردَّ الكابتن بغضب: أين ذهبت هذه الكلاب اللعينة؟

قال الفارس: لقد خدعنا هؤلاء الأولاد، لقد ساروا في طرقات متعرجة كما يفعل الثعلب ... ومضت الكلاب خلف الأثر الزائف ...

وكان الشياطين الثلاثة فوق الأشجار يكتمون أنفاسهم في انتظار انتهاء هذا الحوار الذي يحدد مصيرهم ... وتنفسوا الصُّعَداء عندما أخذ صوت حوافر الجياد يبتعد، ولكنهم عرفوا أنهم سيعودون بكلابهم، وأن هذه الكلاب لا تُخطئ الأثر، فنزل الثلاثة، وكانوا أفضل

حالًا بكثير من الأمس بعد نومهم الطويل، ولكنهم كانوا جوعى ... لكنها كانت مشكلة سهلة الحل هذه المرة، فقد كانت الفاكهة البرية تملأ الأشجار، فتناولوا طعامهم من الفاكهة الطازجة، وقال «بو عمير»: سيعودون في خلال ساعة على الأكثر، إن الكلاب سوف تهديهم إلينا ... ويجب أن ننصُب فخًّا لهم.

نظر إليه «فهد» و«قيس»، فقال «بو عمير»: هذه الخناجر ستصنع الفخ ... سنقطع بعض الأغصان القوية ... سنجعل أحدها قوسًا والآخر سهمًا ... سننصب هذه الأقواس بين الأشجار ونربطها من طرفيها إلى شجرة ... وسنجذبها إلى الخلف بقوة ونضع فيها السهم، ثم نربطها إلى شجرة، فإذا داس أحدهم عليها فسوف ينطلق السهم ... ويصيبه!

فهد: سنجعلها عالية حتى تصيب الفارس نفسه وليس الجواد.

بو عمير: بالضبط.

وأسرعوا بإحضار الأغصان، وقاموا بإعداد القوس والسهم، ثم ربطوا القوس بحبال صنعوها من ليف الشجر، وأصبح السهم مُعَدًّا للانطلاق عند أول حركة تقترب منه.

قال «فهد»: إنه سيحذرهم ... فسوف يعرفون أنهم يسيرون في الطريق الصحيح خلفنا.

بو عمير: ولكنه سيجعلهم يتحركون بحذر، وسوف يتصورون أننا أعددنا فخاخًا أخرى على طول الطريق.

بدءوا الجري فورًا، وأخذوا يُبعدون الأغصان التي تعترض طريقهم بالخناجر ... وبعد نحو نصف ساعة صاح «قيس»: انتبها.

ووقف الجميع وأمامهم على غصن شجرة كانت حية ضخمة تنساب بهدوء من مكان إلى آخر.

وقال «بو عمير»: لم يكذب «مورجان» عندما حذَّرنا من الثعابين ... لقد اقتربنا من وادي الحيات فعلًا.

وأنصت الجميع، وقال «فهد»: إننا على مقربة من المحيط ... فهل سنجد القارب؟

بو عمير: المهم أن نصل أولًا.

استأنفوا سيرهم، هذه المرة ساروا ببطء، فقد زاد عدد الحيات التي يرونها على أغصان وجذوع الشجر، وأخذت وشوشة المياه تصل إليهم أكثر فأكثر، وكان «بو عمير» يسير في البداية، وخلفه «فهد» ثم «قيس»، وفجأة حدث ما كان مُتوقَّعًا، فقد تدلَّت حيَّة بسرعة أمام «بو عمير»، وقذفت برأسها كالسهم تريد أن تلدغه في وجهه، وكردِّ فِعْل غريزي أبعد

«بو عمير» رأسه ووجد عينيه تُطِلَّان على رأس الحية التي فتحت فمها على اتساعه، وأطلقت لسانها ذا الشعب، ولم يُمهلها «بو عمير» أكثر من ذلك، وطوَّح بذراعه في الهواء، وبها الخنجر ثم قطع رقبتها بضربة واحدة.

استأنف الثلاثة سيرهم وقد أصبحوا أكثر حذرًا، وبين الحين والحين كانوا يسمعون صُراخًا غير مفهوم يأتي من أماكن مختلفة من الغابة، كانت زمجرة وحشية لا يُطلقها حيوان مما يعرفون ... وبينما وشوشة المياه تقترب إذ فوجئوا بالزمجرة ترتفع وتقترب ... ثم برز مصدرها، كان خنزيرًا بريًّا ضخمَ الجثة بشِعَ الشكل، تقفز أنيابُه البارزة إلى الأمام كالحِراب، وكان الخنزير ينقضُّ كل مرة على حية من الحَيَّات ويبتلعها دفعة واحدة ... أما الحية التي كانت تقاومه فقد كان يهاجمها بطرق مختلفة حتى يُمزِّقها ثم يبتلعها.

كان منظرًا مقززًا يدعو للرعب، خاصةً عندما لاحظ الخنزير البري وجود الثلاثة، فأخذ يحفر الأرض بحوافره بعنف وهو يطلق زمجرته المرعبة، وعرف الشياطين الثلاثة أنه عدو لا يُستهان به، ماكر وغادر، لا يعرف الرحمة، وأسرع «بو عمير» يقطع غصن شجرة، وأخذ يبريه في شكل الحربة، وكذلك أسرع «فهد» و«قيس»، واستعدَّ كلٌّ منهم في الوقت المناسب ... فلم ينتظروا واندفع ناحيتهم كالذبابة، وتراجع الثلاثة حتى أخذوا أوضاعًا مناسبة، وبدأ الخنزير بمهاجمة «فهد» الذي رفع حربته إلى فوق، ثم قفز إلى غصن شجرة غير مرتفع، ووجَّه الحربةَ إلى رأس الخنزير، ولكن الرأس القويَّ الذي يُشبه الصُّلب لم تؤثر فيه هذه الحربة الخشبية، ولكن الخنزير ذهل للحظات، وقد كانت كافية لكي يرسل كلٌّ من «بو عمير» و«قيس» كلٌّ منهما حربتَه إلى بطن الخنزير الذي ظلَّ مُندفِعًا رغمَ إصابته ناحية «فهد» ... ولكنه لم يكد يصل إلى الشجرة حتى كانت الإصابتان قد أضعفتا قواه فخرَّ على الأرض وهو يُطلق صيحاتٍ عالية، وسمِع الشياطين الثلاثة صوتًا يشبه سقوط الأمطار على الأرض، وعرفوا معنى هذا الصوت، كان صوت عشرات الأقدام تطأ أرض الغابة.

صاح «بو عمير»: إنه قطيع من الخنازير البرية، لقد سمِعَتْ صوتَ الخنزير الذي صرعناه، نحن في خطر حقيقي.

فهد: اصعدا إلى الأشجار.

وأسرع الثلاثة إلى شجرة كبيرة تسلقوها، وتحقق ظنهم سريعًا، فقد ظهر قطيع من الخنازير البرية المخيفة تحيط بالخنزير الجريح، ولدهشة الثلاثة فوجئوا بالخنازير تنقضُّ على زميلها وتتبارى في تقطيع أوصاله ...

وقال «قيس»: خنازير.

بو عمير: يجب أن ننتهز فرصة انشغالها ونهرب، سوف تأتي الكلاب فورًا ... إنها سوف تشمُّ رائحة الدم.

نزل الثلاثة مسرعين وأخذوا يجرون دون توقف ناحية صوت المياه، وبعد نحو نصف ساعة أشار «فهد» وهو يلهث إلى بقعة زرقاء وسط خضرة الغابة، وقال لاهثَ الأنفاس: البحر!

اتجهوا ناحية اللون الأزرق، وعندما انحسرت كثافة الأشجار شاهدوا الرمال الصفراء فاتجهوا إليها، ثم استلقَوْا على الرمال الناعمة يلتقطون أنفاسهم المتقطِّعة.

كانت الشمس الاستوائية تغمر الشاطئ بضوئها ...

وكان كل شيء يبدو واضحًا ... وتقلَّب «بو عمير» في مكانه ونظر بعيدًا ثم صرخ: القارب!

وقفز الثلاثة. كان ثمة قارب متوسط الحجم يلمع تحت ضوء الشمس ... وأنستهم الفرحة بالنجاة والأمل في الحياة كلَّ حذر، فاندفعوا كالمجانين ناحية القارب ... وفي هذه اللحظة سمعوا نباح الكلاب.

كان النباح قادمًا من طرف الغابة، لا يبعد عنهم أكثر من ثلاثة كيلومترات ... وكانت المسافة بينهم وبين القارب تُساوي هذه المسافة تقريبًا ... وبدأ السباق بين الإنسان والحيوان ... بين الشياطين الثلاثة وكلاب «مورجان» المتوحِّشة ... ولم يكن في إمكان أحد منهم أن يتنبَّأ بنهاية هذا السباق الرهيب، سباق الحياة والموت، واستعدَّ الشياطين بالخناجر ... وقال «بو عمير» وهو يلهث ويجري: سأبقى لأكون آخر واحد فينا ... اركبا القارب، ولا تنظرا لما سيحدث خلفكما ... سأتولَّى أنا أمرَ الكلاب.

أخذ «قيس» و«فهد» يحتجَّان وهما يجريان، وأخذ الثلاثة يقتربون من القارب، بينما ظهرت الكلاب الشرسة قادمة من بعيد، كانت من نوع «الوولف» الضخم، وقد كشرت أنيابها استعدادًا للانقضاض على الثلاثة، وظهر عدد من الرجال خلفها يركبون الجياد، بينما وقف «بو عمير» وحده تحت الشمس وأمسك بخنجره، وكان عليه وحده أن يصدَّ القادمين بينما ينجو «فهد» و«قيس» وحدهما.

# عندما يأتي الموت من بعيد!

بدأت الجياد والكلاب تقترب من «بو عمير» الذي وقف وحده، لم يعد بينه وبينها سوى بضع عشرات من الأمتار، وعرف أن النهاية قد اقتربت، ولكنه كان يفدي زميلين من زملائه، وهذا واجبه حتى النهاية، وبدأت المسافة تضيق وتضيق، عندما سمع الجميع صوتًا خفيفًا يأتي من بعيد، صوتًا رنَّ في الصمت الاستوائي الواسع، وبدت نقطة سوداء في الأفق آتية من قلب المحيط، وتوقَّف الجميع، وعرف الجميع، كانت طائرة ... ولم تكن أيَّ طائرة ... لقد كانت «الجت ستار» التي يقودها «أحمد» ومعه خمسة من الشياطين ... وكأنما أراد «أحمد» أن يؤكد تفوُّقه من الجو؛ فقد أطلق قذيفة صاروخية طارت فوق رأس الجميع، وانفجرت في الغابة، وهتف «مورجان» برجاله: ادخلوا الغابة!

ونادى الحراس على الكلاب التي كادت تنقضُّ على «بو عمير» فتراجعت وقد أرخت ذيولها، وبدت لحظة لا مثيل لها ... الطائرة تحوم فوق المكان وقد هرب القرصان وأعوانه.

دار «أحمد» بالطائرة دورة واسعة، واستخدم المعدات التي أضيفت إليها لتهبط في أي مكان، فهبط على الشاطئ الرملي، وراقب الشياطين الثلاثة الطائرة وهي تنزل بطريقة ناعمة كأنها تنزل في مطار حديث.

وقال «بو عمير» الذي انضمَّ إلى زميليه: يا له من طيار بارع!

توقَّفت الطائرة تمامًا عند طرف الغابة، وفتحت الأبواب، وقفز الشياطين الخمسة الذين بها، كلٌّ منهم يحمل مدفعه الرشَّاش، وكانت لحظات لا تُنسى تلك التي اندفع فيها الشياطين الثلاثة، «بو عمير» و«فهد» و«قيس» ناحية الطائرة، كانوا يحسون أنهم خرجوا من موت أكيد إلى الحياة بعد أيام طويلة في سجن السفينة القذر، والغابة المخيفة.

قال «بو عمير» وهو يصافح «أحمد»: كيف وصلت؟

أحمد: كنا نعتمد على الأجهزة اللاسلكية التي معكم في الوصول إليكم، ولكنَّ الذي أوصلنا هو أحد أعوان رقم «صفر» ممن يعيشون في هذه المناطق.

بو عمير: وكيف حددتم اتجاه السفينة من بحر الشمال إلى هنا؟

أحمد: بواسطة أعوان رقم «صفر» أيضًا.

كان الشياطين جميعًا يتحدثون معًا ... وقال «أحمد» وهو يرفع يده: لقد نسيتم أننا في مكان يسيطر عليه القراصنة، يجب أن نضع خطة على الفور، فما هي معلوماتكم عن مكان السفينة وعدد القراصنة؟

قال «فهد»: السفينة موجودة في خليج طبيعي في الجنوب الشرقي للجزيرة ... أي في خط مستقيم من هنا إلى الشاطئ الآخر.

أحمد: شيء مدهش ... إننا لم نرها من الطائرة.

فهد: لأنها مخفية بمهارة تحت سياج من الأشجار العالية.

أحمد: وعدد القراصنة؟

فهد: من الصعب معرفة العدد ... ولكن فيما يهم العدد؟

إلهام: معك حق ... سوف نهاجمهم من الجو ... المهم هي السفينة والكابتن «مورجان».

أحمد: ولكن كيف نهاجمها من الجو وهي مختفية تحت الأشجار؟! إن تحديد مكانها مسألة صعبة.

صمت الشياطين أمام هذه الحُجَّة القوية، وقال «بو عمير»: إنني أعتقد أنه سيخرج إلى البحر فورًا ... إنه سيهرب كعادته.

أحمد: من الصعب أن يهرب في هذا الضوء القوي، إن الهرب سهل في بحر الشمال، حيث الضباب والأمطار، وفي إمكانه هناك — كما كان يفعل — أن يُطلق سحابة من الدخان تخفيه، ولكن هذا لن يجديه هنا ... وفي إمكاننا مهاجمته.

قيس: لا تنسوا أنها مدمرة مجهزة بمدافع مضادة للطائرات، ومن السهل عليهم أن يدخلوا معنا معركة لا يمكن حساب نتائجها.

وفجأة سمعوا صوت طلقات رَصاص قادمة من الغابة، عرفوا أن «مورجان» كان يفكر مثلهم في أفضل الطرق للهجوم عليهم. وأنه اختار أن يصطادهم على الساحل الرملي المكشوف.

وارتمى الشياطين على الرمال، وبدأ حمَلَةُ الرشاشات منهم الضربَ المركز على المنطقة الكثيفة التي صدرت منها الطلقات، واستمرَّ الضرب بين الجانبين، ثم لاحظ «أحمد»

أن بعض أعوان «مورجان» قد ركبوا الأشجار العالية ... وأخذوا يحاولون القيام بدور القناصة، وصاح «أحمد»: إنهم يستخدمون بنادق بها تلسكوب لضبط الضرب ... إنهم أكثر دقة في التصويب الآن.

وأشار «أحمد» إلى «بو عمير» وأخذا يزحفان على الرمال حتى قاما بدورة واسعة واقتربا من حيث يوجد القناصة، ثم فتحا مدفعيهما الرشاشين على الأشجار ... وسرعان ما صدرت صرخات، وتوقف الضرب لحظات، ولكن كان واضحًا أن «مورجان» يضع خططًا بديلة في كل لحظة، فقد اشتدَّ الضرب على «أحمد» و«بو عمير» من الغابة، ثم شاهدا من بعيد ثلاثة من الرجال يحاولون الالتفاف حولهما، هكذا تَوزَّع انتباهها بين الضرب من الغابة وهؤلاء القادمين.

قال «أحمد»: إنهم سيُحيطون بنا، ولا نستطيع التقهقر لأننا سنكون مكشوفين للضرب.

بو عمير: ضع ظهرك في ظهري، اضرب أنت على من في الغابة، وسأقوم أنا بمواجهة القادمين.

نفَّذا فورًا الخطة ... وامتلأ الجو بطلقات الرصاص المتطايرة كأنها ساحة قتال، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، لقد سمع الجميع صوتًا رهيبًا غطَّى على صوت طلقات الرصاص، لقد انفجرت قنبلة على الشاطئ، ونظر الجميع إلى مصدر القنبلة، وبدت مدمرة القرصان على بعد نحو خمسة كيلومترات من الشاطئ، وقد أخذت تصبُّ نيران مدافعها القوية على الشاطئ.

صاح «بو عمير»: إنهم سيُحطِّمون الطائرة.

ولم يتردد «أحمد»، قام واقفًا وأسرع يجري إلى الطائرة، كان يجري ووجهه للمهاجمين وكذلك فعل «بو عمير» وتبعهم بعد لحظات جميع الشياطين، وظهر المهاجمون من الغابة يجرون نحوهم، كانوا بين قوسين من ضَرْب الرَّصاص وضَرْب قنابل المدمرة، وإذا أصابت مدفعية المدمرة الطائرة بطلقة واحدة لحطَّمتها وانتهى كل شيء، وحُوصر الشياطين في الجزيرة وانتهى أمرهم.

كانت قنابل المدمرة تقترب تدريجيًّا من الطائرة ... وكان واضحًا أنهم يصححون الضرب بعد كل طلقة.

وقفز الشياطين إلى الطائرة، ثم أدار «أحمد» المحركات ... وأخذت الطائرة تجري على الرمال والمهاجمون يتقدمون، وقنابل المدمرة تنهال قرب الطائرة فتقفز في كل مرة وتكاد تنقلب.

ولكن «أحمد» نجح في النهاية في الصعود بها إلى الجو، وبدأت المدمرة تطارده بقنابلها قبل أن يتمكَّن من مهاجمتها، ولكن «أحمد» ابتعد عن نطاق الضرب سريعًا ثم دار دورةً واسعة وقال لـ «بو عمير»: سوف أهبط تحت مستوى الضرب ... سأطير فوق سطح المياه ثم أضربها بالصواريخ.

ونفَّذ «أحمد» خطته البارعة؛ هبط دون مستوى مدفعية المدمرة التي استدارت وحاولت الهرب، ولكنه هبط تدريجيًّا حتى أصبح يطير على ارتفاع عشرة أمتار فقط فوق مياه المحيط. وأخذ يقترب ويقترب حتى أصبح على بعد أقل من ٥٠٠ متر فقط من المدمرة، ثم أطلق صاروخين اندفعا بقوة، وأصابا المدمرة إصابة مباشرة فانفجر جانبها المواجه للمحيط. وارتفع الماء حولها وأخذت تترنح، ولم ينتظر «أحمد»، طار عاليًا ودار ثم عاد وهبط عليها عموديًّا، وأطلق صاروخين آخرين واهتزت المدمرة بعنف، ثم انفجر مخزن الوقود فيها وأخذت تغرق تدريجيًّا.

قال «بو عمير»: هل سنعود للجزيرة؟

أحمد: هذه ليست مهمتنا، لقد قضينا على مأوى القرصان في بحر الشمال، ثم في البحر الكاريبي، وحطَّمْنا سفينَته التي اعتمد عليها في مغامراته الإجرامية.

بو عمير: وما هي خطتنا؟

أحمد: إن ما معنا من الوقود يكفينا للعودة إلى «هافانا» ... عاصمة «كوبا» ... من هناك سوف نتصل برقم «صفر» ... وسيقوم هو بإخطار الحكومات التي يهمها الأمر لتطهير الجزيرة ممن فيها من اللصوص والقراصنة.

ودارت الطائرة دورةً أخيرةً فوق المدمرة التي ابتلعتها المياه ... وتبادل الشياطين النظرات ثم ابتسموا ... وأخذت الطائرة الصغيرة طريقها إلى «هافانا».

هنـــداوي